

أضواء على الزوزنيّ وشرحه للمعلقات

سميه هاشم زاده^١، سيدمحمد رضا ابن الرسول^٢، سميّه حسنعليان^٣

١. طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان

٢. أستاذ، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان

٣. أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٧/٥/٣٠؛ تاريخ القبول: ٢٠١٧/٩/٦)

الملخص

إنّ المعلّقات السّبع هي من أفصح وأروع القصائد في العصر الجاهلي ولها مكانة رفيعة جداً فإنّها تعتبر معجماً غنياً بالمفردات ونسيجاً من النّحو العربيّ الرّصين فبالنظر إلى أهميّتها البالغة لدى العلماء والأدباء بادر الشّراح إلى شرح تلك القصائد أشهرها شرح الزوزنيّ المسمى باسم «شرح المعلّقات السّبع» وكان الزوزنيّ أدبياً نحوياً عالماً باللغة العربية وظرائفها وشرحه هذا من ذخائر كتب الأدب ونفائسها. ونحن في هذا المجال استخدمنا المنهج الوصفيّ - التحليليّ وألقينا الضوء على شخصية الزوزنيّ وأشرنا إلى جوانب مختلفة من علومه وكذلك بيّنا أهمية شرح الزوزنيّ عند اللّغويين والمفسّرين والعلماء والأدباء؛ فإنّهم في الكشف عن المعاني الحقيقيّة لبعض المفردات التي كانت تستعمل في العصور السّالفة أو في تفسير بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشّريفة استندوا إلى شرح الزّوزنيّ واستفادوا منه لتأييد أقوالهم. وجدنا من خلال البحث أنّ الزوزنيّ في شرحه الرائع للمعلّقات قد استخدم عبارات سهلة فصيحة بعيدة عن المستوحش وكان أسلوبه في الشرح متنوعاً. فيشير تارة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشّريفة وأحياناً له الآراء النّحوية والصّرفية وله اللّمحات البلاغية وهذا الأسلوب جعل آرائه في تلك المجالات مسانيد للمؤلّفين والأدباء أيضاً. كما إنه استخدم في شرح المفردات مترادفات تختلف قيمتها الدلالية عما جاء في المعلّقات فيركز المقال أيضاً على تلك القيم.

الكلمات الرئيسية

المعلّقات، القيمة اللّغوية، القيمة النحوية، البلاغية.

مقدمة

للشعر الجاهلي قيمة تاريخية عظيمة، فهو وثيقة من أهم وثائق تأريخ الجاهليين. أنهم كانوا ينظرون إلى شعرائهم كجزء من حياتهم بل كأصل في كيان القبيلة. (عرب وآخرون، ١٤٣٤: ١٠٢) لأن في شعرهم أصدق شاهد على البيئة الجاهلية في شتى معانيها ومختلف مناحيها، كما تكون لها قيمة لغوية دلالية، فاختر العرب قصائد لامرئ القيس وزملائه وقيل إنهم كتبوها بماء الذهب وسموها بالذهبات وقد تدعي بالسبع الطوال وكذلك المعلقات لأنهم كانوا علقوها بالكعبة فاتأهم النبي ﷺ بالقرآن الكريم الذي هو بلسان عربي مبين فبعد نزول بعض الآيات أمر النبي ﷺ أن تكتب الآيات وأن تعلق قرب المعلقات السبع ففعل ذلك بعض المسلمين فأنت قريش إلى الكعبة ورأت الآية إلى جنب المعلقات فاضطرت إلى أن تعلق المعلقات ولم تدع أن تبقى قرب الآية لمعرفة أنهم بأنه إعجاز قرآني يخضع لديه كل النصوص؛ (الحسيني الشيرازي، ١٤٢٤: ج٢، ٦٠٧) أما المعلقات لا زالت لحد الآن ذات أهمية بالغة لدى الأدباء والعلماء وحتى المفسرين وشراح الأحاديث لأنها تعتبر معجماً غنياً بالمفردات الفصيحة الأصيلة العربية نسيجاً بالنحو العربي الرصين، فمن البديهي أنها تحتاج إلى الشرح للأجيال القادمة؛ فبادر الشراح بشرح تلك القصائد وكان لكل واحد منهم منهج لكن أشهر الشروح للمعلقات كان شرح المعلقات للزوزني وأنه مقبول لدى العلماء والأدباء واستفاد منه طوال الأعصار الأساتذة والطلاب ودارسوا الأدب. والهدف من هذه الدراسة هو تبين زوايا علمية وادبية ولغوية لشخصية الزوزني بالاجابة عن: ما هو منظاره في هذا الشرح وزواياه؟

والعجب كل العجب أن الزوزني مع شهرته الواسعة وصيته الرفيع لم يكتب عنه إلا القليل لإشفاء الغليل - حسب معلوماتنا - ولم يتناول النقاد شرحه إلّا وهناك مقالة كتبت عن منهجه في الشرح (منهج الزوزني في شرح معلقات السبع) ورسالة في ذلك، فشمّرنا عن ساعد الجد وألقينا الضوء على شخصية الزوزني فحاولنا أن نجمع ما كتب عنه في شتى المؤلفات ونستعرض بسيرة مفيدة عنه وإن لم تكن ترجمة وافية - وذلك لقلّة الزاد - لكنّه يضيء الطريق لطالبه ثمّ بادرنا ببيان أهمية شرح الزوزني في فروع ثلاثة: اللغة، آرائه الصرفية والنحوية في الشرح والإشارات البلاغية وذلك عن طريق نقل كلمات اللغويين والمفسرين والمحدثين والأدباء باستشهاد من استفادتهم عن عبارات الزوزني وأقواله وقد

اكتفيينا بمثال وربّما مثالين وكلّ ذلك يعبّر عن أهمية كتابه المعروف المسمّى باسم «شرح المعلقات السبع» وقيمة كلماته ويشير إلى أنّه مقبول لدى الجميع راجية أن تكون هذه الأسطر مقبولة لدى القارئ الكريم ومفيدة له.

الزوزني

الزّوزني المنسوب إلى الزّوزن بضمّ أوله وقد يفتح وسكون ثانية وزاي أخرى ونون (الحموي، ١٣٩٩: ج٣، ١٥٨) هو أبو عبد الله محمّد بن أحمد الحسين بن أحمد الزّوزنيّ (البغدادي، دون تا: ج١، ٣١٠؛ حاجي خليفة، دون تا: ج٢، ١٧٠٣) أو إنّه أبو عبد الله حسين بن أحمد بن الحسين الزّوزنيّ (الزركلي، ١٩٨٠: ج٢، ٢٣١) من أهل زوزن وزوزن هي بلدة كبيرة حسنة بين هراة ونيسابور وكان بعض الكبراء قال: «زوزن هي البصرة الصغرى لكثرة فضلائها وعلماؤها» وقيل: «إنّ إمارتها تعدل إمارة مدينة كبيرة بخراسان» (السمعاني، ١٤٠٨: ج٣، ١٧٥). كان الزّوزنيّ وحيد عصره في اللّغة العربية؛ (القمي، دون تا: ج٢، ٣٠٠) إذ ألف كتابا باسم المصادر (بالعربية والفارسية) مرتّب على الأبجدية كمعجم، له مخطوطات في أكثر مكتبات أوروبا في كوبرلي بالأستانة وجردّه عن شواهد الحديث والأشعار والأمثال وترجمتها وصدر كلّ باب منها بمصادر الأفعال الصحيحة قد اتبعتها بمصادر المعتلّة وهلمّ جرّاً. (حاجي خليفة، دون تا: ج٢، ١٧٠٣) وطريقته أن يذكر الأسماء باللّغة العربية ثمّ تفسيرها باللّغة الفارسية وكذلك ألف كتابا في ترجمان القرآن بالعربية والفارسية لسهولة درك معاني ألفاظ القرآن الكريم. (الزوزني، ١٣٣٩: ج١، ٢٩-٣٢) وكان الزّوزنيّ نحويّا بصيرا بالأدب خبيراً ضريراً ما له في دهره نظير؛ له يد في الأصول الكلامية إذ كان له كتاب في هذا المجال سمّاه (القانون) وله شعر، منه:

فتى لا يقنتني غير المعالي	ولا يرضى سوى العلياء جارا
حوى من كل مكرمة نصيباً	وأوجد في العلوم كما أغارا
فلو كانت مكارمه هلالاً	لما لاقى محاقاً أو سارارا
ولو كانت فضائله نجومياً	لما رضيت لها الفلك المدارا
ولو كانت شمائله مداً	لما ألت مشاربها خمّارا

(القنطي، ١٤٢٤: ج١، ٣٥٥)

إلا أنّنا لم نعثر على نسخة أخرى وثيقة من شعر الزّوزنيّ غير ما ذكرناها لكنّنا رأينا أن من الأفضل نقلها في هذا المجال؛ لأنّ هذا الشعر منسوب إليه على أية حال.

إضافةً إلى ذلك كان الزّوزنيّ أديبا بارعا له منزلة رفيعة في العلوم الأدبية. (القفطي، ١٤٢٤: ١: ٣٥٥) لا يخفى على من يتصفّح كتابه شرح المعلقات السّبع وكتابه هذا مشهور بين الأدباء ودارسي الأدب فنركز على جوانبه المختلفة وبيان أهميته في آراء الكبراء في السّطور الآتية إن شاء الله.

ومن المؤسف ليس لدينا نصّ يدلّ على بواعثه من كتابة هذا الشرح وكذلك تاريخ كتابته وأساتذته كما لم نعثر على سنة ولادته وسيرته الذاتيّة فحسبنا أنّ المؤرّخين ذكروا اسم الزّوزنيّ بكلّ فخامة وجلالة إذ لقبوه «بقاضٍ» أو «إمام» وأحيانا نُسب إليه لقب «السيد» كما كان مرسوماً لديهم لكلّ من له شأن رفيع وقدر عظيم وهذا كلّ دليل على عظمته وعلوّ شأنه كما يدلّ على أنّه كان فريداً في عصره وحيداً في نوعه، توفيّ سنة ٤٨٦ هجرياً الموافق على ١٠٩٣ ميلادياً. (الزّوزنيّ، ١٣٣٩: ١، ٢٩-٣٢)

شرح المعلقات السّبع

من أهمّ الشّروح للمعلقات شرح المعلقات للزّوزنيّ، طبع في سنة ١٣٠٤ هجرياً في مصر وقال عنه ابن يوسف: «لقد طبع هذا الكتاب في ايران سنة ١٢٨٢ هجرياً وفي مصر ولبنان مرارا وقد طبع شرح قصيدة امرء القيس مستقلاً في سنة ١٨٢٠ ميلادياً بباريس» (الزّوزنيّ، ١٣٣٩: ١، ٢٩-٣٢).

فكثرة الطّبع في شتّى البلاد كراراً ومراراً تحكي عن أهمية شرح الزّوزنيّ والحاجة الماسّة إلى هذا الكتاب من قبل المخاطبين في المدرج الدراسية المختلفة وذلك لأنّ منهجه جميل وكتابته سهلة مفهومة لدى الجميع.

أمّا سمات شرح الزّوزنيّ البارزة التي منحتة أهمية كثيرة فهي اللّغة والشّرح أولاً وعلم النحو والإشارات البلاغية في بعض المواضع وأردنا أن نبين كلّ ذلك في هذا المقال:

اللّغة:

كان الزّوزنيّ لغوياً من الطّراز الأوّل حيث كان فريداً في إحاطته على مفردات اللغة وموارد استعمالها لا سيما على مفردات الجاهليين، فأول ما أعتني به الزّوزنيّ في شرحه للأبيات المعلقات هو الشّرح اللّغوي نحو:

وإنّ شـفائي دمعاً مهراقاً فهل عند رسم دارس من معول

المُهْرَاقُ والمُرَاقُ: المَصْبُوبُ، وَقَدْ أَرَقْتُ الْمَاءَ وَهَرَقْتُهُ وَأَهْرَقْتُهُ، أَي: صَبَبْتُهُ. إِذَا نَظَرْنَا إِلَى الْقِيَمَةِ الدَّلَالِيَّةِ لِلْمَفْرَدَاتِ الْمُتْرَادِفَةِ وَتَغَوَّرَهَا الدَّلَالِيَّةِ نَرَى أَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ الْإِرَاقَةِ وَالصَّبِيبِ: أَوَّلًا: أَنَّ الْإِرَاقَةَ لَا تَرْكُزُ عَلَى الْحَرَكِيَّةِ فِي حِينَ أَنْ الصَّبِيبُ مَصْدَرٌ يَدُلُّ عَلَى الْحَرَكَةِ، ثَانِيًا أَنَّ الثَّانِيَّ يَسْتَعْمِدُ لِلْمَاءِ وَمَا شَاكَلَهُ مِثْلَ الْمَطَرِ وَ... فِي حِينَ أَنَّ الْأَوَّلَ (الْإِرَاقَةَ) يَدُلُّ عَلَى الْحِمَاسِ وَالهِيجَانِ وَالْإِنْفِعَالِ. الْمَعْوَلُ: الْمَبْكَا، وَقَدْ أَعْوَلَ الرَّجُلُ وَعَوَّلَ: إِذَا بَكَى رَافِعًا صَوْتَهُ، وَالْمَعْوَلُ: الْمَعْتَمِدُ وَالْمُتَكَلِّفُ عَلَيْهِ أَيْضًا. وَالْعَبْرَةُ: الدَّمْعُ، وَجَمَعَهَا عَبْرَاتٌ.. (الزوزني، ١٤٢٣: ٢١) وكما شرح الزوزني أن المعول فيه مفهوم البكاء والاتكاء مع أنهما مشتركان في بيان العاطفة الإنسانية ولكنهما المختلفان في بيان الحاجات النفسية: إذ إن المعول يشير إلى أن الانسان عند البكاء يحتاج إلى مكان أو شخص يتكى عليه وينفس كربه؛ لأن وزن المعول مشترك بين اسم المكان والزمان واسم المفعول.

وكذلك نحو:

أَذْنَتْنَا بَيْنَهَا أَسْمَاءُ رَبِّ ثَاوِ يَمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

الإيدان: الإعلام. البين: الفراق. الثواء والثوي: الإقامة والفعل ثوى يثوي. (الزوزني، ١٤٢٣:

٢٢٧)

شرح المفردات في المعلقات ذو أهمية واسعة وهو هامة جدا في مجالات مختلفة فضلا عن التعلم والتعليم منها عند اللغويين وعند المفسرين وشرّاح أحاديث النبي وآل بيته عليهم السلام. فأشار اللغويون إلى أبيات من المعلقات في أنحاء مختلفة من كتبهم واستشهدوا بذلك ومن الواضح أنّها تحتاج إلى شرح يبينها وشرح الزوزني من المرجّحات في ذلك المجال كقول الفراء في معنى «دون»: «وتكون بمعنى على وبمعنى بعد وبمعنى عند الأخيرة ذكرها ابن السّيد في المعاني وبه فسّر الزوزني قول امرء القيس: فألحقه بالهاديات ودونه أي: عنده» (الزبيدي، ١٤١٤: ج١٨، ٢٠٨).

وممن استند إلى شرح الزوزني في إثبات أقواله هو المفسرون للقرآن الكريم وشرّاح الأحاديث الشريفة كما ذكرناه ففي تفسير الآية الكريمة ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ (الصافات/٤٩) قال الشيخ الطبرسي: شَبَّهَن بَبِيضِ النَّعَامِ وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلُ امْرِءِ الْقَيْسِ:

كَبَكْرِ الْمُقَانَاةِ الْبَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ الْمَاءِ غَيْرُ مُحَلَّلٍ

وهذا البيت من معلقته المعروفة، يقول الزوزني: «البكر من كل صنف: ما لم يسبقه مثله والمراد هنا بيض النعام وإضافته إلى المقاناة من قبيل قوله تعالى «وللدار الآخرة».

والمُقَانَاةُ: المخالطة والنميرُ: الماءُ النَّامِي فِي الجَسَدِ وقيل: الضرب من الماء وغير محلل: أي غير يسير أو من قولهم مكان محلل: إذا أكثر الناس به الحلول، أي: لم يكثر حلول الناس عليه فيكدره ذلك. يصف معشوقته عنيزة شبه لونها ببيض النعام تشوب بياضها صفرة. (الطبرسي، ١٤١٥: ج٨، ٣٠٥: الزوزني، ١٤٢٣: ٢٨) وفي قوله تعالى «قد جعل ربك تحتك سريا» السري: النهر لأنه يسري بجريانه. وهذا التوصيف التلويحي التركيبي أحسن وأجمل توصيف يدل على الطهر والرفاهية والرغد التي أثرت في بياضها ولفت الأنظار إليها. قال لبيد:

فتوسّطاً عرض السريّ فصدّعا مسجورة متجاورا قلّامها

ضمير التثنية من توسّطاً وصدّعا يرجع إلى العير والأتان (وهما نوعان من الابل) والتّصريح: التّشقيق ومسجورة: أي مملوءة ماء والقلّام: ضرب من النبات قال الزوزني: «وتحرير المعني أنّهما قد وردا عيناً فدخلوا فيها من عرض نهرها وقد تجاور نبتها. (الطبرسي، ١٤١٥: ج٦، ٤١٥: الزوزني، ١٤٢٣: ١٤٩)

وأما اهتمام شراح أحاديث أهل البيت عليهم السلام بشرح الزوزني فواضح في كتبهم إذ أنهم استندوا في شرح تلك الأحاديث وفي أقوالهم بأشعار المعلقات ولتبيين ذلك راجعوا أحيانا إلى شرح الزوزني فاستدلوا بذلك واستناروا الطريق أمام من يفتش عن الحق فهذا صاحب خلاصة عبقات الأنوار في الردّ على دعوي ابن تيمية الذي يقول عن معنى أبطح: «أجمع الناس على أن ما قاله النبي ﷺ بغدير خم كان حين مرجعه من حجة الوداع، والنبي بعد ذلك لم يرجع إلى مكة بل رجع من حجة الوداع المدينة...». وفي الحديث يقول ابن تيمية: «هذا بغدير خم وشاع في البلاد وجاء الحارث وهو بالأبطح والأبطح بمكة فهذا كذب جاهل لم يعلم متى كانت قصة غدير خم». هذا كلام من لم يعلم معنى الأبطح فظنّ أنّه بمكة فقط ولا يقال لغيرها أبطح وهذا باطل جدا فليس المراد من الأبطح في هذا الحديث أبطح بمكة ولا أن الأباطح منحصر بأبطح مكة بل...» وهنا يستدل مؤلف عبقات الأنوار بأقوال الأدباء واللغويين كالجوهري والأصمعي والسيوطي ويقول: «بل استعمل الأبطح استعمال اسم الجنس في اشعار العرب الجاهليين ففي قصيدة عمرو بن كلثوم (وهي القصيدة الخامسة من القصائد السبع للمعلقات):

يدهدهون الرووس كما تدهدي حزاوره بأبطحها الكرينا

قال شارحه الزوزني: الحزور: الغلام الغليظ الشديد والجمع الحزاورة. يقول: يدحرجون رؤوس أقرانهم كما يدحرج الغلمان الغلاظ والشداد الكرات في مكان مطمئن وقال بشرح قوله:

وقد علم القبائل من معدّ إذا قبيب بأبطحها بنينا

قال: يقول: قد علمت قبائل معدّ إذا بنيت قبابها بمكان أبطح والقبب والقباب جمع قبة.

(التقوي، ١٤٠٤: ج ٨، ٣٩١، منقول عن شرح المعلقات للزوزني)

وأما من الكلمات الرئيسية الهامة في مدرسة التشيع وعند المحدثين فهي كلمة «مولى» وتشمل على معان كثيرة مختلفة والتي استعملها النبي ﷺ تلك الكلمة في خطبته يوم الغدير آخذا بيد أخيه وابن عمه ووصيه معرفاً بأنه خليفته من بعده قائلاً: «من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه» (خطبة الغدير) ففسره المخالفون والمعاندون على وجوه غير ما أراد النبي ﷺ وليس هنا بوسعنا - وليس في اختصاصنا - على إيراد تلك البحوث والمناقشة عليها إلا أن رجال الشيعة والأخصائيين في ذلك المجال دافعوا عن الحق المغتصب وبينوا بحجج ودلائل متقنة ورسينة منها تفسير أبي العباس ثعلب أحمد بن يحيى الشيباني البغدادي (المتوفى ٢٩١هـ) (المولى) بـ (الأولى) فقد ذكره الحسين بن أحمد الزوزني في شرح المعلقات السبع حيث قال:

فعدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها

الفرج موضع المخافة والفرج ما بين قوائم الدواب فيما بين اليدين فرج وما بين الرجلين

فرج والجمع فروج وقال ثعلب: «إن المولى في هذا البيت بمعنى الأولى بالشيء كقوله تعالى:

«مأواكم النار هي مولاكم» أي هي الأولى بكم. (التقوي، ١٤٠٤: ج ٨، ٣٥)

وهذا الدليل مشهود في كتب مختلفة منها: الغدير وتشديد المراجعات وتفنيد المكابرات

ونفحات الأزهار والردّ النفيس على أباطيل عثمان الخميس.

ونقل الزوزني كلام الثعلب دالاً على أنه موافق له برأيه وتأييد من قبله ويعني أنه يعتقد

بهذا القول واستناد شراح الأحاديث بشرح الزوزني واستفادتهم من شرح الزوزني دون ثعلب

يشير إلى أن الزوزني ثقة لديهم وأنهم يعتقدون بتبحره وخبرته في هذا المجال.

وجدير بالذكر أن الزوزني في شرحه للغات لم يراجع إلى أي كتاب من كتب اللغة ولم يأخذ

منها مع أنه كان من قبله قد كتبت معاجم للمفردات العربية ككتاب العين للخليل بن أحمد

الفراهيدي (المتوفى ١٧٥هـ) وصحاح الجوهري (المتوفى ٣٩٣هـ) وكمعجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا (المتوفى ٣٩٥هـ) كما نرى ذلك على سبيل أمثلة من شرحه للكلمات:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم بحومانة الدرّاج والمتنّم

يقول: الدمنة: ما اسودّ من آثار الدار بالبعر والرّماد وغيرهما والجمع: الدمن والدمنة: الحقد والدمنة: السرجين. (الزوزني، ١٤٢٣: ١٠٩) عندما يشرح الخليل «الدمن» بقوله: «ما تلبّد من السرّقين وصار كرسا على وجه الأرض وكذلك ما اختلط من البعر والطين عند الحوض. (الفراهيدي، ١٤١٠: ج٨، ٥٤) وفي الصحاح للجوهري: «الدمن: البعر والدمنة آثار الناس وما اسودّوا والجمع الدمن» (الجوهري، ١٤٠٧: ج٥، ٢١١٤). وفي جمهرة اللغة وتاج الصحاح عبارات قريبة تختلف عمّا قاله الزوزني وليس ذلك.

والمثال الثاني: «ضبح» في بيت من معلقة طرفة:

وأصفر مضبوح نظرت حواراه على النّار واستودعته كفّ مجمّد

يقول: ضبحت النّار: قريته من النّار حتّى أثرت فيه، أصبحه ضبحا. (الزوزني، ١٤٢٣: ١٠٥)

وشرحها في العين هكذا:

ضُبِحَ: ضبحت العود بالنار: إذا أحرقت من أعاليه شيئاً. (الفراهيدي، ١٤١٠: ج٣، ١٠٩)

وفي الصحاح «الضبح»: الرّماد وضبحته النّار: غيرته ولم تبالغ فيه ويقول ابن الفارس: «الضاد والباء والحاء» أصلان صحيحان أحدهما صوت والآخر تغير لون من فعل نار.. فالضبح إحراق أعالي العود بالنّار. (ابن فارس، ١٤٠٤: ج٣، ٣٨٥) والذي يلفت الانتباه هو مقارنة ما جاء في المعاجم من شرح وتوضيح على ما نراه في السياق.

ونحو «الدلال» في بيت امرئ القيس:

أفاطم مهلاً بعض هذا التّدلّ وإن كنت أزمعت صرّمي فأجملي

الإدلال والتّدلّ: أن يثق الإنسان بحبّ غيره إياه فيؤذيه على حسب ثقته به والاسم الدّالة

والدّال والدّلال. (الزوزني، ١٤٢٣: ٢٩)

ففي الصحاح: «الدلّ»: الغنج والشّكل وقد دلّت المرأة تدلّ وتدلتّ وهي حسنة الدلّ والدّلال والاسم الدّالة. (الجوهري، ١٤٠٧: ج٤، ١٦٩٨) وفي العين: الدلّ دلال المرأة إذا تدلّت على زوجها تريه جراءة عليه في تغنّج وتشكل كأنها تخالفها وليس بها خلاف. (الفراهيدي،

١٤١٠:ج ٨، ٨) كما يصرّح بنفس القول صاحب معجم بقوله: «دلال المرأة وهي جرأتها في تفتح وشكل كأنها مخالفة وليس بها خلاف» (ابن فارس، ١٤٠٤: ج ٢، ٢٥٩).

يذكر أنه في بعض النسخ من شرح المعلقة للزوزني توجد معدوداً من أقوال تنسب إلى كتب وأشخاص كالصّاح والتّعالبي وإن صرّح بأن ذلك الشرح ليس للزوزني نحو:
ترى بعمر الأرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حَبُّ قُلْفُل

عرصات في المصباح: عرصة الدار، ساحتها وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها بناء والجمع عراض، مثل: كلبة وكلاب وعرصات مثل سجدة وسجدات» وعن التّعالبي: كل بقعة ليس فيها بناء فهي عرصة وفي التهذيب: سمّيت ساحة الدار عرصة لأن الصبيان يعرضون فيها أي يلعبون ويمرحون. (الزوزني، ١٤٢٣: ١٩)

والمثال الآخر:

كأنني غداة البين يوم تحمّلوا لدى سمرات الحي ناقف حنظل

غداة في المصباح والغداة الضحوة وهي مؤنّثة قال ابن الأنباري: ولم يسمع تذكيرها ولو حملها حامل على معنى أول النهار جاز له التذكير والجمع: «غدوات» البين: الفرقة وهو المراد هنا وفي القاموس: البين يكون فرقة ووصلا.

وذلك مستحيل لأن المصباح المنير كتبه الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠ هجريا واستفادته من كتاب التّعالبي المتوفى ٤٢٩ هـ فقه اللغة وسرّ العربية بعيد جداً ومحلّ التأمل لأنه في ذلك الزّمن مع قلّة الامكانيات وبطء انتشار صيت كتاب أو مؤلّف كيف يمكن إتخاذ مؤلّف مؤلّفا وهما معاصران فيبدو أن ما كتبه الزّوزني من اللغات والشّروح هو من اطلاعه على تلك العلوم واستيعابه على جوانبها فصار ثقة عند المتّقفين من الأدباء والعلماء.

آراؤه الصّرفية والنّحوية

اهتمّ الزّوزني بعد شرح المفردات بشرح الأبيات وكانت عباراته سهلة جميلة ممتعة يفهمها المخاطب في معظمها وابتعد كثيرا عن المستوحش من الكلمات أو الغريب منها وهذه الخصوصية جعلت شرحه مفيدا يستفيد منه الطلاب في المستويات المختلفة فأسلوبه في الشرح ليس بشكل متّسق متّحد فيشير تارة بآيات قرآنية ويقرن شرحه بها نحو:

لها فخذان أكمل النحض منهما كأنهما بابا منيف ممرّد

الممرد المطول أيضاً، وقد أول قوله تعالى: ﴿صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ (النمل/٤٤).

وكذلك نحو:

فَأَعْرَضَتْ الْيَمَامَةَ وَأَشْمَخَتِ كَأَسْيَافٍ بِأَيْدِي مُصَلِّتِنَا

أعرضت: ظهرت، وعرضت الشيء أظهرته، ومنه قوله عز وجل: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا﴾ (الكهف/١٠١).

وتارة له لمحات إلى النكات الصرفية والتحوية ويذكر أقوال الكوفيين والبصريين في بعض المواضع فاستفاد اللغويون والشراح والعلماء من هذه النكات في تصانيفهم واستندوا إلى ذلك وهذا يعبر عن أهمية آراء الزوزني في تلك المجالات ويكشف عن مهارته وتسلمه على تلك العلوم.

فهذا هو الزبيدي اللغوي الشهير يقول: ذيل مادة كيب: كبه فأكب على وجهه وهو كما في نسخة وفي بعضها بإسقاط الرباعي منه لازم والثلاثي منه متعد وهذا من النوادر أن يقال: أ فعلت أنا وفعلت غيري، يقال: كب الله عدو المسلمين ولا يقال: أكب كذا...

وقال الزوزني: لا نظير له إلا قولهم: عرضته فأعرض ولا ثالث لهما. (الزبيدي، ١٤١٤: ج١، ٨٨٤: الزوزني، ١٤٢٣: ٧٩). وكان قبل ذلك يستند إلى ذلك المقال ذيل مادة حنج: «يقال: حنجه فأحنج بتعدي الثلاثي ولزم الرباعي وهو نادر فيدخل في باب كيبته فأكب وعرضته فأعرض. قال الزوزني: «ولا ثالث لهما» أي للآخرين. (الزبيدي، ١٤١٤: ج١، ١٣٦٥: الزوزني، ١٤٢٣: ١٧٩)

ونحو ما ذكره السيد علي خان في ضبط كلمة وصلات ويقول: «فقد نص علماء العربية أن الإسم الثلاثي المؤنث إذا كان مضموم الفاء ساكن العين غير معتلها ولا مدغمها ولم تكن لامه ياءً جاز في عينه الفتح للخفة والضم للإتباع والسكون في لغة تميم... قال امرؤ القيس: «وقد أغتدي والطير في وكناتها».

قال الشارح ابوعبدالله الزوزني: الوكنات: مواقع الطير واحدها وكنة بالضم: ثم تجمع الوكنة على الوكنات - بضم الفاء والعين وعلى الوكنات بضم الفاء وفتح العين والوكنات بضم الفاء وسكون العين وتكسر الوكن وهكذا حكم فعلة، نحو: ظلمة ظلمات وظلم. (المدني الشيرازي، ١٤١٥: ج٥، ٣٧: الزوزني، ١٤٢٣: ٤٩)

ومثال آخر في هذا المجال: كنت أنا وابن فضال جلوس (العاملي، ١٤٢٤: ٢٣٣) كلمة جلوس في هذا الحديث محل البحث؛ إذ هكذا في أكثر النسخ المصححة وفي بعضها جلوسا وفي الأول

الإشكال من جهتين: إحداهما رفع جلوس والثّانية جمعه وفي الثّانية من الجهة الأخيرة فقط ووجه التّقصيّ إما عن الثّاني فبأحد وجهين: إمّا بالحمل على مذهب من يجوز الجمع بما فوق الواحد أو على ما ذكر الزّوزنيّ في شرح المعلّقات: أنّ الاسم إذا علم حاله من كونه مفرداً أو جمعاً أو غيرهما جاز لك جمعه وتثنيته وإفراده ألا ترى إلى الفرقدَيْن كيف قالوا فيهما تارة: الفراقِد وتارة الفرقد وتارة الفرقدان. قال الشاعر:

وكلّ أخٍ مفارقَه أخوه لعمري أيبك إلّا الفرقدان

وقال الآخر:

سأل ابن ماجّة دونه نفقاته خرط القتادة أو مناط الفرقد

وقال الآخر:

أحبك يا شمس الزّمان وبدره وإن لآمني فيك السهي والفراقد

(العالمي، ١٤٢٤: ٢٣٤)

وبغداد يثبت دعواه عن الضّمير في قول الشاعر:

وما الحرب إلّا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

يقول: ما الحرب ما جرّبتم وذقتم فإياكم أن تعودوا إلى مثلها وقوله: وما هو عنها أي: ما العلم عن الحرب بالحديث، أي ما الخبر عنها بحديث يرجم فيه بالظنّ فقوله: هو كناية عن العلم لأنّه لما قال: إلّا ما علمتم... دل على العلم... وقال الزّوزنيّ: هو ضمير القول لا العلم لأنّ العلم لا يكون قولاً، أي: وما هذا الذي أقول بحديث مرجم أي: هذا ما شهدت عليه الشّواهد الصّادقة من التّجارب وليس من أحكام الظّنون. (البغدادى، ١٩٩٨: ج ٣، ١١)

والكتابان خزنة الأدب وشرح الشّافية مليّان بالشّواهد من شرح الزّوزنيّ للمعلّقات وذلك يكشف عن مدى ثقة الزّوزنيّ لدى أصحاب تلك التّأليفات.

إشارات البلاغية

إشارات الزوزني إلى الجهات البلاغية في شرح أبيات المعلّقات وإن قلت لكنّها لطيفة ظريفة تستوقف النّظر وتستثير الإعجاب وهذا ثمرة وقوفه على أسرار كلام العرب وتدقيق حلاوته والتاريخ يشهد على ذلك كما قال أبو الحسن أحمد بن إسماعيل الصرام يقول: سمعت أحمد سلمه يقول: رأيت أعرابياً يطوف بالكعبة حتى إذا جاوز البيت رفع طرفه إلى السّماء فقال:

«إليك مددت يديه وفيما عندك عظمت رغبتيه فأقبل توبتيه» فعرضت على أبي عبد الله الزوزني فقال: لغة جيدة ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهِ﴾ ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ﴾ (الحاقة/٢٨-٢٩). (البيهقي، ١٤١٠: ج٣، ٥٠١)

ونقل الأدباء عنه تلك النكات والإشارات فهذا هو البغدادي الذي يستشهد بأقوال الزوزني وينقل عنه في المواضع المختلفة من كتابه مثلاً يقول في هذا البيت من المعلقة:

وكان رباً أو كحياً معقداً حش الوقود به جوانب قمقم

قال القاضي أبو الحسن الزوزني في شرحه: شبه العرق السائل من رأسها وعنقها برب أو قطران جعل في قمقم أو قدت عليه النار فهو يترشح به عند الغليان وعرق الإبل شبه بهما وشبه رأسها بالقمم في الصلابة وتقدير البيت: وكان رباً أو كحياً حش الوقود بأغلائه في جوانب قمقم عرقها الذي يترشح منها. (البغدادي، ١٩٩٨: ج١، ١٣٥)

وكان خبيراً جداً في استعمال الألفاظ والاستعارة لها فعلى سبيل المثال في استعمال القناة يقول: «العرب تستعير للعز اسم للقناة يقول: إنا قناتنا أبت أن تلين لأعدائنا قبلك يريد: أن عزهم أبي أن يزول بمحاربة أعدائهم لأن عزهم منيع لا يرام» (البغدادي، ١٩٩٨: ج٧، ٤٠٧).

وفي وجوه التشبيه عالم، كامل الدراية والفكر فحينما يصف الشاعر الجاهلي المرأة الحسناء بالبيضة يقول الزوزني: «تشبه النساء بالبيض من ثلاثة أوجه: أحدها بالصحة والسلامة عن الطمث» (البغدادي، ١٩٩٨: ج١١، ٢٥٥). والثاني: في الصيانة والستر لأن الطائر يصون بيضه ويحضنه. (الزوزني، ١٤٢٣: ٢٢) والثالث في صفاء اللون ونقاؤه وربما شبّهت النساء ببيض النعام وأريد أنهن بيض يشوب ألوانهن صفرة وكذلك بيض النعام. (البغدادي، ١٩٩٨: ج١١، ٢٥٥)

النتائج

- بعد البحث والتحري في شرح الزوزني على المعلقات حول موضوع: «أضواء على الزّوزنيّ وشرحه للمعلّقات» وصلنا إلى النتائج المرجوة التالية:
- إنّ الزّوزنيّ المتوفّي سنة ٤٨٦ هجريًا كان عالمًا، أديبًا، نحويًا بصيرا باللّغة العربيّة ومن آثاره كتاب المصادر وشرح المعلّقات.
 - يعتبر شرح الزوزني على المعلقات السبع من أهم المصادر اللغوية لكشف المفاهيم الدلالية وقد حاز أهمية كبيرة لأنه يدور حول محورين أساسيين: هما اللّغة والشّرح.
 - بما أنّ المعلّقات ذات كلمات صعبة غريبة فهي تحتاج إلى الشّرح ليبيّن مقصود شعرائها وأحسن الشّروح وأبلغها شرح المعلّقات السبع للزّوزنيّ بلغته السهل والسلس.
 - فشرح الزّوزنيّ على مفردات المعلّقات دال على اطلاعه الواسع على مفردات العرب. وأثبتنا أنه لم يراجع في تفسير المفردات على أي معجم من المعاجم الموجودة آنذاك.
 - وهكذا شرّحه مصدر موثوق به، رجع إليه اللّغويون والمفسرون وشراح الأحاديث الشريفة وألّوا إلى ذلك واستفادوا منه واستندوا إليه ونقلوا عنه وإثبات ذلك أوردنا مثالاً على الأقلّ.
 - استخدم الزوزني عبارات سهلة فصيحة بعيدة عن المستوحش من الكلمات، لكنه لم يستعمل أسلوباً متسقاً منظماً، فيشير تارة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وأحياناً له الآراء النحوية والصرفية وله اللّمحات البلاغية، فصارت آراؤه في تلك المجالات مسانيد للمؤلّفين والأدباء.
 - يمهد شرّحه على المعلقات أرضية دراسة الفروق اللغوية بين المفردات الواردة في المعلقات وما ورد في شرّحه من المترادفات.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن فارس (١٤٠٤هـ). معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبدالسلام محمد هارون، قم: مكتبة الإعلام الإسلامي.
٢. البغدادي، إسماعيل باشا (دون تا). هدية العارفين. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٣. البغدادي، عبدالقادر بن عمر (١٩٩٨م). خزانة الأدب. تحقيق: محمد نبيل طريفي؛ أميل بديع اليعقوب، بيروت: دار الكتب العلمية.
٤. البيهقي، أحمد بن الحسين (١٩٩٠م). شعب الإيمان. تحقيق محمد بن السعيد زغلول، بيروت: دار الكتب العلمية.
٥. الجوهري (١٤٠٧هـ). الصحاح. تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ط ٤، بيروت: دار العلم للملايين.
٦. حاجي خليفة (دون تا). كشف الظنون. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٧. الحسيني الشيرازي، محمد (٢٠٠٣م). تقريب القرآن إلى الأذهان. بيروت: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع.
٨. الحسيني العاملي، بدر الدين بن أحمد (١٤٢٤هـ). الحاشية على أصول الكافي. تحقيق محمد تقي الموسوي، بيروت: دار الحديث للطباعة والنشر.
٩. الحموي، ياقوت بن عبد الله (١٩٧٩م). معجم البلدان. بيروت: دار إحياء التراث.
١٠. الزبيدي (١٩٩٤م). تاج العروس. تحقيق علي شيري، بيروت: دار الفكر.
١١. الزركلي، خير الدين (١٩٨٠م). الأعلام. ط ٥، بيروت: دار العلم للملايين.
١٢. الزوزني (دون تا). شرح المعلقات السبع. تقديم عبد الرحمن المصطاوي، بيروت: دار المعرفة.
١٣. — (١٣٣٩ش). المصادر. به كوشش تقي بينش، مشهد: مطبعة طوس.
١٤. — (١٤٢٣هـ). شرح المعلقات السبع. بيروت: دار إحياء العلوم الإسلامي.
١٥. السمعاني (١٩٩٨م). الأنساب. تحقيق وتقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، بيروت: دار الجنان للطباعة والنشر.
١٦. الطبرسي (١٩٩٥م). تفسير مجمع البيان. تحقيق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، بيروت: مؤسسه الأعلمي للمطبوعات.

١٧. عرب، عبّاس؛ خنّيفي زاده، أحمد (١٤٣٤هـ). مناهج النّقد الأدبي في العصر الجاهلي. مجلة اللغة العربيّة وآدابها، فرديس قم، العدد ١٥.
١٨. الفراهيدي، الخليل (١٤٠٩هـ). العين. تحقيق مهدي المخزومي؛ إبراهيم السامرائي، ط ٢، قم: مؤسّسة دار الهجرة.
١٩. القفطي، علي بن يوسف (٢٠٠٤م). إنباه الرواة على أنباه النّحاة. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: المكتبة العصريّة.
٢٠. القمي، عباس (دون تا). الكنى والألقاب. طهران: مكتبة الصدر.
٢١. المدني الشيرازي، علي خان (١٤١٥هـ). رياض السالكين في شرح صحيفة سيد السّاجدين عليه السلام. تحقيق محسن الحسيني الأميني، ط ٤، قم: مؤسّسة النّشر الإسلاميّ.
٢٢. النّقوي، حامد (١٤٠٤هـ). خلاصة عبقّات الأنوار. طهران: مؤسّسة البعثة.